التحول في شق المنظمة الى تيارين، مع خروج «جبهة الرفض» من اللجنة التنفيذية للمنظمة.

بيد ان هذه الآمال العريضة، التي ارتسمت في سماء المنطقة، في ذلك الوقت، لم تعمّر طويلاً، بعد ان عادت الخلافات فيما بين دول الطوق العربية الى مجاريها من جديد. فقد عاد الصراع بين سوريا ومصر، بسبب اتفاقية فصل القوات الاولى، التي ابرمتها مصر مع اسرائيل. وعاد التنافس بين المنظمة والاردن حول المفاوضات والتمثيل الفلسطيني. وبينما ظهرت سوريا والاردن في تحالف مشترك، خشيت المنظمة من ان يتمكن الاردن من استمالة مصر الى جانبه، بعد ان ضمن الاردن موقف حليفه السوري. وقد نجمت الخشية هذه من قمة حسين ـ السادات، في الاسكندرية، و «بيان الاسكندرية» الشهير[٤٠]، الذي أشار الى تراجع مصر عن الاعتراف بوحدانية تمثيل م.ت.ف. التي أُقرت في مؤتمر القمة العربي السادس في الجزائر، أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣. وهكذا بدا وكأن شهر العسل الذي عاشته دول الطوق في سبيله الى ان ينتهي، ليذرو معه ادراج الرياح المكاسب التي كان مأمولاً تحقيقها في ذلك الوقت. لقد انتهى الحفل، حتى قبل ان يبدأ.

ومن غير الممكن فهم هذا التغير المفاجيء في مسار التطورات الذي أدى الى فقدان الفرصة المواتية لتحقيق السلام العادل في المنطقة، بدون الاتيان على ذكر وزير الخارجية الاميركية آنذاك، هنري كيسنجر، الذي استطاع احداث هذا التحول الجذري، ليس فقط في مسار العملية السلمية وانما في مسار الوضع في المنطقة ككل.

لقد كان كيسنجر الشخص الوحيد الذي فهم الدور الذي يمكن ان تضطلع به الدبلوماسية لكسب الوقت، من اجل انهاء مفعول سياسة حظر النفط[٤١]، وتنفيس الاحتقان الدولي الضاغط على اسرائيل؛ وكان «السر» الذي عثر عليه يتمثل في عبارة «فصل القوات»[٤٢]. وبفضل سياسته المكوكية، استطاع كيسنجر ان يقنع الجميع بمزايا سلعته الجديدة، وبضرورة التجاوب معه، باعتباره الشخص الوحيد الذي يمكن ان يخلصهم، جميعاً، من مأزقهم. فمع رئيسة الوزراء الاسرائيلية، غولده مائير، المتصلّبة، بيّن كيسنجر أهمية تجاوبها في انجاح عملية فصل القوات، بهدف اضعاف ورقة النفط، وتحييدها خارج اللعبة؛ لأن استخدام هذا السلاح ـ من وجهة نظر كيسنجر ـ لاعتبارات تتعلق بمحادثات سياسية، هو شيء مختلف عن استخدامه في اثناء الحرب. اضافة الى ان الدول الغربية سوف تكون، في المرة المقبلة، مهيأة لمواجهة هذا الاحتمال؛ لكن نجاح ذلك، يتوقف على المرونة التي ينبغي ان تقدمها اسرائيل في المحادثات لانجاح فصل القوات. أما مع السادات، فقد حاول كيسنجر ان يبيّن له مزايا الاعتدال، والاعتماد على الولايات المتحدة الاميركية في الضغط على اسرائيل، لدفعها نحو تقديم تنازلات، باعتبار ان الولايات المتحدة، وليس الاتحاد السوفياتي، هي التي تستطيع ان تضغط على اسرائيل، وتحرك عملية السلام في المنطقة، وتعيد الاراضي التي تحتلها اسرائيل الى العرب. ولقد كان كيسنجر يهدف من وراء ذلك، أساساً، الى كسب مصر، وابعادها من نفوذ الاتحاد السوفياتي. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، وظّف كيسنجر كل براعته التكتيكية في ادارة المفاوضات، لاعطاء المصريين بعض المكاسب الجزئية، لأنه أدرك ان كسب مصر يعني الاخلال في توازن القوى في المنطقة لصالح الولايات المتحدة، وعزل الاتحاد السوفياتي، حليف سوريا ومصر، وحرمانه من قطف ثمار ما تحقق. كما ان من شأن دخول مصر في هذا المسار ان يضعف خطر تجدد الحرب مرة أخرى، ويؤدي الى احداث شقاق في علاقة مصر وسوريا، الامر الذي يؤدي الى تفكيك العالم العربي من جديد، وتحويل الانتصار العربي الى انتصار للسياسة الاميركية في المنطقة، التي باتت، مع نجاح سياسة «الخطوة خطوة» التي انتهجها كيسنجر في المنطقة، مهيأة للعودة الى الشرق الاوسط، بعد ان